[redacted]

الفصل الحادي عشر

ارْتَعَدَ الزميل بإدارة الاستخدام الخارجي لمَّا حان التفتيش على الشركة التي شكت مجاهد للوزير؛ فنال جزاءَ الإنذار؛ أخذًا في الاعتبار عدم حصوله على أية جزاءات طوال مدة خدمته، ارتعد للاتهامات المُقْذِعَةً التي وجهت لرئيسه في العمل، والتي يعلم أن جميعها باطلٌة؛ ولكنَّ الله سلَّم؛ إذ وافق على الصلح؛ ولمْ يمكث مع أرباب السوابق في الحجز إلا لدقائق معدودة؛ وتضافرت كُلُّ الجهود من أجله؛ فَكَّرَ الزميل؛ وكانت الشركة قد ارتكبت مخالفة جديدة؛ ألحقت مهندسًا للعمل بالسعودية دون موافاة الإدارة بالتعاقد؛ فأخذ يضرع إلى مجاهد أن لا يأْخذهم بهذه الجريرة هذه المرة؟؟

- ولِمَ؟ أ لأنهم شكوني للوزير؟؟.. فاسترسل الزميل في ضراعته:

- أرجوك يا شيخ؛ دعهم حتى نجمع مع هذه الحالةِ بعض الحالات؛ فلا يكون لهم عُذرٌ.. تكرم فخَلّيهم؛ هم لا يزالون في أيدينا ؟؟.. واقترب من مجاهد قد ذهب لونه بينما يداه ترتعشان كتلميذ مفرط يربه أستاذه، لم يكن بالهزيل بل أطول منه، وأعرض، وأمْتَن، غير أنه من فصيلة هاني وأيمن محمود؛ فردّه في حسم لأنه يفرق من المسئولية:

- ولا نِصْفَ حالة! فانقلب فجأة للنقيض؛ وجاهر بعصيانه:

- إذن لن أذكر شيئًا في التقرير، لن أقيدها مخالفة، وقد كنت تغفل للبعض حالة ؟!..فاشتدَّ عليه غضبه إذ استخفّ بعصيانه؛ خوفًا من خصم ظالم:

- إن فعلت أحلتك للتحقيق.. وقال للزميلة التي تخرج مشاركة للزميل في الحملة:

- أدّ عملك عل أكمل وجه؛ لا تغفلي شيئًا؛ وأنا عونك فلا تخافي.. فخرجت هي الأخرى مُسْتَنفرة؛ وإن لم تعقب!.. فأقسم للجميع في شأن هذا الزميل الذي يرعد:

- والله، لن يخرج بعد اليوم في حملة أبدًا، قولوا له يختار إدارة ويتقدم بطلب، وسأوافق على نقله فورًا، وإلا سعيت له فيه.. وكان الزميل بعد حديثه المُنفلت قد غادر دون استئذان، ودون أن يُعْلم عن وجهته؛ فانبرت الزميلات تدافعن عنه:

- يا أستاذ مجاهد؛ بعد كل هذه السنين تستغني عن الأستاذ عبد الحي وتسعى في نقله؟! لا ننتظر من سيادتك ذلك؟ قضينا عمرنا معك مُتحابُّون في هذه الإدارة، والآن لا أمن لنا فقد تستغني عنَّا - حضرتك- في أي لحظة؟!

- وهل أعجبكم ردَّه؟! كيف أُسيّر عملًا أنا عنه مسئولًا؛ إذا قام كل أحد فسلك معي كذلك ؟.. فمضين في دفاعهن:

- هو لا يقصد عصيان حضرتك، تعلم جيدًا كيف جميعنا يحترمك؛ وأننا جميعًا باقون في هذه الإدارة لسببك؛ ولا أحد يمكنه عصيانك،..

وضرعت إليه الزميلة الرسول:

- سامحه يا شيخ..

- يا مدام ألمْ تسمعِ قوله؟! يعلن أنه لن يثبت المخالفة!! فتابعت في ودٍ صادق:

- كل على قدر إمكانياته؛ ليس كل الناس الشيخ مجاهد، هؤلاء أنذال؛ ادعوا عليك بالباطل إدعاءات فظيعة، ولم يتركوا جهة إلا شكوا حضرتك لها؟!

- إذن نخاف؟؟

- لا، وأكدت في صفاء بالغ؛ لكن ليس الناس الشيخ مجاهد؛ فرضي..

وقصّ عليهن:

- لا؛ والظريف أن القائم بعمل مدير المديرية، ومدير مكتب تفتيش العمل المشارك في الحملة، رجواني تأجيل الذهاب للتفتيش على هذه الشركة، وألا أقوم بتحرير محضر ضدها، بزعم أنه سبق تحرير محضرين سابقين؛ أحدهما حالة مشابهة، والثاني في ٢٠١٢ شكوى المواطن محمد فتحي، وطلبا ألا أخرج مشاركًا في الحملة درءًا للشبهات، وألا تدعي الشركة أني أتقصَّدهم بسبب شكواهم، فأطعتهم في هذه؛ ولكن تأجيل

التفتيش على الشركة، وألا نحرر لها محضرًا؛ هذا مستحيلٌ؛ أنهدم ما بنيناه؟ ونُهزم عن أداء الأمانة، أو أرحل عن هذه الإدارة؟!؛ لأن شركة ادعت علي؛ هذا مقصدهم، وأجابهم على مقالة الزميل.. أمَّا تركي أحيانًا بعض حالة؛ فهذا عندما تقر الشركة بالمخالفة، وتتقدم بطلب لتصحيح الخطأ، وإقرار بعدم العودة؛ وأفعله مع الجميع، ولكن هؤلاء تبجحوا، ورفضوا تصحيح الخطأ، والإقرار بالمخالفة.. فقلن جميعًا:

- كلنا يعلم عن حضرتك ذلك، ولا يشك أحدٌنا لحظة في نزاهتك سيادتك؛ لكن يبقى النذل نذلًا، فاعذر الزميل في خوفه؛ فليس كل أد الشيخ مجاهد؟!.. وبالفعل؛ كان قد بذل النصيحة الخالصة لابن صاحب الشركة وهما مجتمعان في الحجرة البديلة؛ انتظارًا لإتمام إجراءات الصلح، بعد مغادرتهما حجرة الحجز القذرة؛ وبيَّنَ أن لا عداوة قاصدة بينه وبينه، بل هو الواجب الوظيفي، وحق الدولة التي يحصل منها على الراتب وقال:

- اسألني أُجبك.. فسأله:

- ترك بعد الإجراءات التي لم تعد ملائمة؛ والأوراق الكثيرة التي يجب تقديمها والاحتفاظ بها.. الآن المتبع هو التويتر، والفيس بوك؟ ولا تزال القوى العاملة تعمل بسجلات وأوراق مستعملة في الزمن البائد؟!.. قال:

- لست ضدًا للتطوير، لكن السجلات التي ذكرت، والأوراق التي يجب على الشركة الاحتفاظ بها، صدرت بقانون وبجهود أشخاص، ولم يزل في بعضها نفع؛ وعليكم أصحاب الشركات أن تسعوا لدى الوزارة بطلب حذف ما لم يعد نافعًا أو يَقتَصدُ المال، والجهد، والوقت؛ وحتى يتم ذلك علينا جميعًا الالتزام بالقانون؛ وإلا فعل كلّ من شاء ما شاء!.. فلم يدع غريمه الفرصة التي لن تعود أبدًا كجماعة الإخوان. تعنت في طلب الأوراق التي وُقِعَ عليها ليُعجزَه، وذهب إلى النيابة الإدارية بشكوى مماثلة للتي قُدِمت للوزير، وبمثلها للمحافظ؛ في كلها يطلب المستندات التي سبلها مجاهد منصور من الشركة، ويطلب إعادة التحقيق؛ وفي كلها يرفق صورة من توقيعه أنَّه أخذها؛ كإقرار مادي للإدانة.. ولما جاء للمديرية طلب استدعائه للنيابة؛ قال يواسي نفسه:

- اثْبُتْ؟ فإن لم تَثْبُتْ أنت؛ فمن تراه يثبت لذلك؟! ابتلاءات تمر وتضيف إلى رصيدك، وارتعبت الزميلات حين علمن باستدعاء النيابة؛ وكنَّ جميعًا من الصنف الذي لم يرد للتحقيق في أيّ شأن عمرهن؛ فَوَدَّعْنه بنظرة أسى، فحمل ملف الشركة، وأخذ مصحفه وكتابًا يقرأ فيه عونًا على مشقة الانتظار في مثل هذه الأماكن..

وحضرت والعاشرة الباشا " سَارةُ " وكيل النيابة؛ شابة بيضاء، حديثة الزواج، حديثة التخرج، حديثة التعيين، لطيفة مبتسمة؛ ولولا نَمشٌ خفيفٌ لا تلحظه إلا عيْنٌ خبيرة، لاعتبرها جميلة جدًا، لم يمنعه غض البصر، وقد

جلس تلقاءها من ملاحظة ذلك عند مواجهته بالسؤال، وعند الإجابة، ظلت الباشا لطيفة مبتسمة، وبدا له أنَّها لا تكذبُهُ؛ تسأل للاستبيان لا للاتهام؛ لم توجه إليه تهمة اختلاس أوراق من الشركة، بل سألت عن ماهية عمل الإدارة، وعن إجراءات التفتيش، وعن واجبات المفتش، وواجبات الشركة؟ ولا يُحدثها مثله خبير:

- دليل الإجراءات؛ قرار وزاري رقم١٣٦ في مجال التفتيش على شركات إلحاق العمالة، والقرار ١٣٥ المنفذ للمواد من ١٧- ٢٥ من قانون العمل ١٢ لسنة ٢٠٠٣ ينصصا على أنه من حق المفتش أن يتحرى جيدًا عن مدى التزام الشركة بالقانون سالف الذكر؛ والحصول على المستندات التي تؤيد المخالفة؛ وأمّا عن دافع الشركة إلى تقديم شكوى ضدّي فسببه محضر حُرِرَ ضدها لمخالفة ارتكبتها في موضوع مواطن، يدعى، محمد فتحي عطية؛ وقص القصة..وذكر أنه لم يتبقَّ من الأوراق التي يزعم ابن صاحب الشركة إنه اختلسها إلا هذه؛ ست ورقات من مطبوعات شركة التسهيل؛ شركة لهم في القاهرة، تستخدم مقر الشركة الواقعة في دائرة نطاق المديرية كفرعٍ لها، وهذا مخالف لقانون العمل ١٢ والقرارات المنفذة مادة٠٠ ورفض ابن صاحب الشركة استلام هذه الوريقات الست، وحاول إرهابي عند عدة جهات منها وزير القوى العاملة والمحافظ؛ لتوقعي بالاستلام بادعاء الاختلاس، لأن نتيجة التحقيق في الموضوع نفسه لدى الوزارة لم تجئ على مراده، فحاول ابتزازي، فجاءكم بنفس الشكوى؛ يطالب بالكشكول المثبت فيه دليل معاملتهم مع المواطن محمد فتحي؛ والذي أنكرت الشركة صلتهم به، و الكشكول

أعطيته مندوب الشركة أمام جميع الزملاء والزميلات بالإدارة، والجواز سُلم للطبيب حتى لا يُضار بالتخلف عن سفره، وهذه الورقات الست التي ترفض الشركة استلامها، أرجو تسليمها للشاكي من قبل النيابة، وأنا على استعداد لتحمل أية مصاريف.. فأمرت الباشا: يتم استدعاء الشاكي.. وفي حالة عدم مثوله أمامنا يتم إرسالها إليه ببريد علم الوصول.

س.. هل لديك أقوالًا أخرى؟

- لا.. وطلبت منه مثول مدير مكتب تفتيش عمل ثانٍ المشارك في الحملة، وأي زميل معه بالإدارة للسؤال بنفس الموضوع، مع صورة من نتيجة تحقيق الوزارة في هذا الصدد.. وبعد شهر هاتفته سيادتها للحضور لاستلام الورقات الست لعدم استجابة الشاكي للحضور؛ ورفضه الاستلام؛ فسألها نَكِدًا:

- والحل سيادتك؟ أيظل يبتزّنا كذلك؟ ألا يمكن إرسال ضبطٍ وإحضارٍ له؟

- لا؛ هذا يُفعل مع المشكو في حقه حال رفضه الحضور.. انتهى دوري وأعددت تقريرًا بالموضوع لهيئة المفوضين يعرض في جلسة للمحكمة للحكم؛ فَوَجلَ لإعلان هذه المتعاطفة معه فراغ يدها من الموضوع؛ ووجود هيئة مفوضين، وجلسة محكمة للنظر في القضية؛ فسألها عن ماهية الحكم؟

- الجزاء في حالة الإدانة يكون إداريًا، ويُبْعثُ لجهة العمل يوصى بخصم بعض الراتب إن لم يسبق صدور جزاء من جهة أخر عن نفس الموضوع.

- وهل يظل هذا الشأن مفتوحًا؛ يهدر وقت العمل هكذا؟

- يظل من حق الشاكي الذهاب إلى أي جهة أخرى مَعْنية، وأعتقد أنه قد أغلق الباب لديْنا إلا في حالة ظهور جديدٍ.. وابتسمت الباشا بسلامة نيّة تُخبرهُ:

- طلب إليَّ الشاكي عدم حضورك للتفتيش على الشركة فقلت له ليس من حق الناس أن يختاروا من يقوم بالتفتيش عليهم.

- جزآك الله خيرًا.. هذا حقيقة مراده.

- وأنا أعلمته أنه ليس من حقه.. وعقب الحملة اتصل أخٌ ثالث لهذا الشخص؛ مدير شركة القاهرة؛ يجادل حول الإجراءات والدلائل التي تتخذها الإدارة لإثبات المخالفات؛ لا تتخذها مديرية القوى العاملة بالقاهرة، والقوى العاملة بالجيزة، ونفى مسؤوليتهم عن إلحاق المهندس للعمل؛ وأن الكفيل السعودي أو المهندس ذاته هو من قام باستخراج التأشيرة من السفارة دون علمهم:

- لا؛ ثبت على موقع إنجاز أن الشركة هي من قامت بالتنفيذ.. قال:

- من حقك أن تؤدي عملك بالطريقة التي يرضاها ضميرك؛ لكن نسألك روح القانون..ومن حقنا أن ندافع عن أنفسنا، يُهدد؛ ولا يمكن أن نقدم إليكم إقرارًا يُدِيننا لتصحيح خطأ لم نرتكبه. كما أننا قمنا بالتنازل لدى النيابة الإدارية عن الشكوى، يراوغ؛ ولم يتطرق للمستندات التي رُفضت الشركة استلامُها.

- من حقكم أن تشكوني، هذا لا يغضبني، ومن واجبي متابعة جميع شركات إلحاق العمالة الكائنة في نطاقنا، وتحري مدى التزامها بالقانون؛ ما يغضبني هو الإعلانات المتكررة المرسلة على يد محضر لبيتي لإرهاب أهلي، لديكم عنوان العمل؛ فما دخل بيتي هنا؟! قال:

- لا أعلم بهذا التصرف، سأعتب على من قام بذلك.. وعندما استلمت الزوجة الإعلان أول مرة أمسك عن لومها؛ رغم لغة الادعاء الرخيصة وطلب الشركة سرعة تسليم المستندات المنصوص عليها خلال أسبوع؛ وفي حالة التخلف سيتم رفع قضية أمام النيابة العامة بموجب هذا الإعلان الرسمي، والرجوع على المشكو في حقه بالتعويض للأضرار البليغة التي لحقت بالشركة، وحرمانها من الحصول على الأتعاب، وإفشاء أسرار الشركة للمنافسين بأخذ كشكول تعاملات العملاء وأرقام تليفوناتهم.. وعندما قامت الزوجة باستلام الإعلان للمرة الثانية، وقدمته إليه، وقامت تلومه:

- وهل الموضوع هذا لن ينتهي ؟؟.. فاشتد غضبه عليها:

- ألا تفهمين؟! لم تستلميه؟! فجعلت تبرر لما سبق أن حذرها منه:

- قال الشخص أنه إعلان جاءك من المحكمة، وَطلبَ مني التوقيع بالاستلام.

- وهل هذا يخصك ؟؟.. فقضت تدينه:

- تعمل المصائب، وتلوم غيرك؟! طالما لا تريد أن يضطلع أحد بأخطائك، قل لهم لا يرسلون على عنوان البيت، ويرسلون على عنوانك بالمديرية؟ فسكت حزينًا.. فقالت بآخر حجتها:

- الحاجة هي من جاءت بالمحضر إلى الحضانة فاضطررت لاستلامه٠٠ وتنفس الصعداء

عندما جاءه خطاب المكتب المشارك في الحملة على الشركة ينصص:

بعد التحية

نتشرف أن نرسل لسيادتكم صورة ضوئية من المحضر ضد شركة.. رقم .. تاريخ ٤/١/ ٢٠١٣ لقيام الشركة المذكورة بتنفيذ عقد عمل المواطن.. بمهنة مهندس مدني للعمل لدى الكفيل سعود عبد العزيز، دون الرجوع للإدارة لتسجيل الطلبية واعتماد العقد، ويعتبر ذلك مخالفًا للمادة ٢٠ من القانون ١٢ لسنة ٢٠٠٣ والمادة ٢٠ للقرار الوزاري ١٣٥.

مرسل برجاء العلم، والإحاطة، واتخاذ اللازم.. فأَمْهَرَهُ بتوقيعه، وكتابة عبارة، أ/ نادية؛ المشاركة في الحملة لرفعه للوزارة، وقال في نفسه: لا إنذاراتهم أرهبتنا، ولا ذهابهم للنيابة أرعبنا؛ طبقنا القانون وحققنا العدل.

ولمّا ذهب لجلب الكتب؛ اختار ثيابه بعناية.. بنطلون أزرق سماوي مُخططٌ، وجاكت كحلي أنيق ماركة مشهورة، مع قميص نِصْفِ كُمِ حديث كتان مُخَطَّطٌ، به خط سماوي وخط ككاوي، وحذاء شموا نفس اللون، وكانت بشائر الصّيف قد أطَلّتَ؛ جو شبه دفيء؛ لكن رعايةً لبدنه النحيف من لَسْعة برد راعى ذلك، وراعى أن يرسل القميص أمام فتحة الجاكت يستر قُبُلَه ولم يجعله كالعادة داخل البنطلون، ولمّا وجد ثلاث سيارات ملاكي في مدخل العمارة؛ ولم يتسع المجال لسيارته، استعرض بها خلف سيارتين منها.. كانت إحدى السيارات حديثة ولطيفة كاللاتي يستعملها النساء الرفيهات؛ أو وكيلات النّيابة؛ فاستبعد أن تكون لهم، الثانية قديمة غير التي لقيهم فيها أول مرة عند مسجد النَّصر عندما لمحته مدام/ أُمْنية واقفًا يتحدث إلى العقيد سيد فريد؛ فأشارت إلى الزوج، فنزل إليه فورًا قبل أن يضيع منهما، ولمْ يصبرْ كي يستعرض السيارة الثالثة، اتصل على الموبايل بالزوج يُعْلِمُهُ بمجيئه، فطلب منه أن يصعد ليشرب الشايَ.. أَحَسَّ الطَّلبَ من باب المُعارَضة فَعَفَّ؛ وكان قد أُمِّلَ أن يروه ويتحدث إليهما؛ لكنَّ الزَوْجُ أَسرع بإخباره أن الأشياء موجودة بالسيارة وأنه نازلٌ إليه حالًا.. فترك السيارة وقام في انتظاره للعناية، ولْيُعلِمَه أنه أيضًا مُتأهبًا للسير في عزةِ نفس.. ودَّ لو نظر إلى النافذة؛ فربما رأى مدام/ أمنية؛ فاستحْيَا؛ فالشقة في الدور الرابع.. وأقبل الزَّوْجُ حَفِيًّا،

كان في قميص صيفي أو يكاد؛ فالقميصُ ذو أكمام، يضعه داخل البنطلون.. انقلب فورًا بعد السلام قاصِدًا السيارة الثالثة؛ تويوتا حمراء في حالة طيبة ولم تكن جديدة، من الجيل الأميل إلى صغر الحجم. أسرع بفتح الشنْطَة، واستخرج حقيبة بلاستيك كبيرة فأسرع بحملها عنه إكْرامًا ففوجئ بها ثقيلة جدا.. أغلق الزوج الشنطة وقام لتحيته، وهمّا بالانصراف.. وفجأة تذكَّر شيئًا فأسرع إلى السيارة، وفتح الباب الأمامي المجاور للسائق، وجاءه بشيء:

- هذه هدية أُمنية لزوجة جنابك.. تحياتي للأَهْلِ ولجنابك.. فَقَبلهُا متشكرًا، وردَّ التحية:

- سلامنا للزوجة والبنات.. ونسي أن يسأله عن أخته المريضة التي جاءا لزيارتها !.. وركب السيارة مهمومًا لسرعة المغادرة؛ في حالة من يريد أن يَفْزعَ إلى البكاء !..وقبل أن يصعد إلى الشقة نظر في الأشياء؛ فابْتَدأَ بالشيْء الذي نحلته مدام/ أمنية زوجته ؛ ستة أَكْوابٍ في غلاف عرض، تبدت الأكواب نحيلة جدًا؛ لدرجة أنه فكر: أيّ شيء يُشْرَبُ في هذه ؟! هذه ليست للشاي؛ أكواب الشاي أكبر كثيرًا! أعجبته الفكرة " تَهادُوا تَحابوا " ولم تُعْجِبه الهدية، وأخذتَ من رصيد مدام/ أمنية عنده؛ الحرص الشديد، والغيرة منْ منعاها حُسنِ تنفيذ الفكرة، وكان يفهم في غِيرَة النساء، وامتنع عن ذكر " البُخْلِ " كي لا يقسو عليها قسوة مدير المديرية الأسبق حين لم تُقَدِمْ له في ضيافتها الطعام، فَوَجَدَ عليها، فوصفها به لصاحبتها، فَغَضِبت، وظنَّ أن الهدية لن تقع من قلب زوجته موضع الرضا، إلا أنه قرر حملها إليها، وفتح

الشَّنْطة البلاستيك التي بها الكتب فوجد فيها عِلْبَةً قطيفة حمراء مُربَعة ١٥سم × ١٥سم صناعة يدوية، العلبة محمولة على أربعة أرجل مخروطية من بلاستيك غليظ، مُزَيّنة بين قطعتيها بشريط زِجْزاجٍ أزرق، مرصوص عليه أقواس هلالية بيضاء، مكتوبٌ على الغطاء، قرآن كريم؛ فمَكثَ كثيرًا مع الغطاء حتى فتحه.. وجد في ناحية القاعدة قطعة دقيقة جدًا من نحاس حال لونه على شكل وُريقة ذي عُرْوة، يدخل فيها بَذْرٌ، ضَغَطَ الوُريقة فانفضت العروة وخلت البذر، وجد في العلبة مصحفًا صغيرًا خَطُّهُ غير واضح! فعلم أنه ليس للقراءة؛ بل يوضع للشخص لحفظه؛ كما يعتقد عوام الناس، وعلى الرغم أن ذلك لم يَصِحّ؛ وأن القران ما نزل لهذا، وكان يضع أمامه فوق الطَّابْلون مصحفًا كبيرًا يَقْرأَ فيه حال الانتظار، إلا أنَّه لعلمه أن م/ أُمنية ما أرْسلتِ العِلْبةُ إلا لتوضع في موضعها هذا، وضع العلبة القطيفة الحمراء، والمصحف الذي بها إلى جوار مصحفه المقروء أمامه؛ فوق الطابلون في عناية الأمين، وحمل باقي الأشياء إلى الشقة..

ولمّا قعد يراها، وكانت الزوج قد ذهبت من قَبل العصر لدرس النساء وخلّفته، فعادت، فوجدته يتصفح الكتب، وإلى جواره على مِقعد بالصالة الستة أكواب في غلاف العرض، فلم تصبر؛ التقطتها، وسألت مُتحفّزةً، فمضى يتصفح كتاب تفسير الجليلين، من الهدية وأخبر مبتسمًا:

- هدية م /أُمنية لكِ؛ أعطنيها الزوج، وقال، هذه هدية فلانة، لزوجة جنابك.. فغَضِبت:

- وأيضًا ذهبت؟؟

- اتصل الزوج على الموبايل؛ فاستحييت منه، وقال في ابتلاءٍ دون أن ينظر، أنا لا أحب أن أُؤذي الناس..ذهبت إليه وعُدتُّ ولم أقْعُدْ.. يُسَلِمُ عَلَيْكِ.. فتناولت الموبايل، تفتش في صندوق الوارد.. ومن حسن حظه أن الزوج كان قد اتصل يعلمه أنهما قد وصلا، فرأت تلك المكالمة ثابتة، فانقلبت تفتش في المكالمات الصادرة، فعثرت بالاتصال الآخر؛ فقالت كذلك ترنو إليه كنمِرة:

- وما هذه ؟؟.. ودون أن ينظر تابع في أسى:

- عندما وصلت؛ لم أُشأ أن أصعد إليهم حتى لا أُضطرَ إلى الدخول؛ فاتصلت بالزوج، وكنت قد علمت منه أنه يحتفظ بالكتب في السيارة، وطلب منّي الصعود لأشرب معهم الشاي فاعتذرت، فنزل إليّ فأعطنيها؛ والهدية خاصتك، فسلمت عليه، وشكرته، وانصرفت.. دقق الكلمات في عناية قبل النطق، واستطرد في انفراجة همٍّ، أعجب من تفريط الزوج في هذا المجلد؛ تفسير موجز ومفيد؛ مذيل بأسباب النزول للسيوطي؛ طبعة - بيروت- لبنان ١٣٩٩ هجرية ١٩٧٩ ميلادية !!. مجلدًا واحدًا كبير الحجم متين الغلاف، عليه كتابة بارزة، وأربع مستطيلات طِباقًا مذهبة، بارزة، بحجم الكتاب، الفراغ الذي بين المستطيل الثالث والرابع سعة ٢ سم عليه نقوش إسلامية، وبداخل المستطيل الرابع شكل بيضاوي صَنَعَ معه مِثْلَ بابٍ من أبواب المساجد الأثرية العتيقة.. في صدره رسم إسلامي بارز

وكبير نوعًا ما، أسفل منه بخَطٍ بارزٍ وواضحٍ وجَميلٍ: تفسير الجليلين.. المجلد أربعة ألوان؛ اللون الذهبي للعنوان، والرسم، الإسلامي، وخطوط المستطيلات.. والبرتقالي للشكل البيضاوي، وأرضية الرسم الإسلامي المُذَهَّب.. والبني المحروق أرضيةً المجلد؛ أُسَعده المُجلدُ جدًا، خاصة، ورق الصفحات الصفراء السميكة المعتقة؛ الطيبة الرائحة، المريحة للنظر، فقال في تؤدةٍ يستشيرها؛ محرضا على الكلام:

- الرأي؛ أن نرسل إليهم بكتابين؛ كتاب في التفسير؟ وكتاب في الحديث ؟..هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ كان هذا شرطي لقبول الهدية كما عَلِمْتِ.. فسألته وقد بدأت تهدأ:

- أتشتري جديدًا؟؟

- لا، بل نختار لهم من كتبنا كتاب في الحديث سهل درسناه؛ الوصايا، وشيء في التفسير أستشيرك له؟ نرسلهما إلى أختها بشقة الوالدة، تقول م/ أمنية أن ابن أختها هذه يذهب إليهم باستمرار، فيحملها إليهم. قال وهو يتصفح الكتاب الثاني من الهدية؛ صحيح البخاري.. ثلاث مجلدات كبيرة الحجم عتيقة جدًا، بليت حوافَها وحال لونها، تجليد يدوي أو محلي مجهول المصدر تصفح بعضه.. الأوراق صفراء معتقة، مطابع الشعب ١٣٧٨هـ العبارات مُشَكلة، والطباعة لم تزل جليةً، تبويب صاحبه، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فقرأ.. وُلِدَ رضي الله عنه ببخارى يوم الجمعة أو ليلتها ثالث عشر شوال سنة ١٩٤ هـ، وتُوُفي ليلة السبت

ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا، رُوِي عنه أنه قال:

- خرَّجتُ كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة.. وما وضعت فيه حديثًا إلا اغتسلت، وصليت ركعتين، واستخرت الله، وبدا لي فيه برهان، وقال:

- كتبت عن ألف وثمانين رجلٍ ليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول؛ الإيمانُ قول وعمل.. وَرَوَى عنه رجال كثيرون نحو مائة ألف، وعظَّمه العلماء غاية التعظيم حتى أن مُسْلمًا صاحب الصحيح، كان كلما دخل عليه قال:

- دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله، ويا سيد المحدثين.. كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردًا، وكان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة، وكان يقوم بعد التراويح في رمضان بثُلِثِ القرآن، وكان مُجابُ الدَّعوة، وصحيحه؛ أصح كتب السنُّة، عدد أحاديثه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون، وبإسقاط المكرر، أربعة آلاف، وقيل غير ذلك.. ففاضت بالدمع عينا مجاهد وهو يقرأ هذه المقدمة وفكر: لو كنت في زمانه ما خلّيته عُمْري، ودعا بجواره في الدار الآخرة.. كان قد قرأ أن البخاري تعرض للفتنة ممن هم دونه؛ من أنصاف العلماء، طفقوا ينهون الناس عنه يتهمونه، وهو الفذّ.. كان الكتاب من فروع النسخة اليونانية المُعَول عليها في جميع روايات صحيح

البخاري، بمادته الخام، رواية وتبويب صاحبه، الباب تلو الباب، والحديث تلو الحديث بجميع السلسلة الرواة.. وهو كذلك كبحر الْتطمت أمواجه؛ من ولجه من العامة، وهم لا يجيدون هذا النوع من السباحة غَرِق.. وتذكر مقالة زوج م/ أمنية ليتخلص منه لمّا حرضه على الاحتفاظ به: قرأته مرارًا، وعرفت ما فيه.. وظنَّ أن العبارة الصحيحة؛ وحاولت أن أفهم منه شيئًا دون جدوى.. فأشفق عليه؛ فمنذ خمسة وعشرين عامًا قني نسخة مُفسرة من الصحيح؛ فتح الباري، شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني تخلص منها فرد باعها له زمن قبل الشقاق؛ وقال يخبره: كتاب صعب؛ حصلت عليه بتخفيض كبير أتنازل عنه، أعطيكه بنفس ثمنه؟ أعرفك مُحباً للقراءة؟. فاشتراه منه؛ ثلاثة عشر مجلدًا، طباعة دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م٠ كان يطالع في الصفحة الواحدة ساعات فلا يخرج منها إلا بربع فهم.. فيعيد القراءة، لا ييأس، ويبتهل إلى الله أن يعينه.. وعندما فتح أول مجلد؛ انهار الغلاف وترك الكتاب، وبعد فترة قليلة لم يبق مجلدًا واحدًا سليم الغلاف؛ فقال في نفسه: شرَّبةً شربكها فرد الإخوان؟ غير أن أمره انتهى به إلى متعة الدرس، حتى وجده يهضم هذا الفتح، ويعلم نكت البخاري البليغة؛ إذ يُلَمّحُ عن رأيه في المسألة لا يصرح، وفهم حتى الحواشي، واستمتع باستنباط أحكام؛ وغالبًا ما دار مع البخاري في الرأي؛ أو خالفه للأقوى حجة؛ وبقي له عنده في كل حال بالغ التوقير والمودة..

العجيب أن الزوجة أخرجت من الأكواب الستة الهدية كوبًا راق لها أن تشرب فيه شايًا، وكانا لا يرضيان للغرض ذاته سوى طقم فرنسي الصنع؛ الكوب على شكل زهرة اللوتس؛ شعار الدقهلية.. والحقيقة أن دافع التفضيل لم يكن لأن الكوب على شكل شعار محافظتهما، فقبل أحدث يناير لم يكن همهما السياسة أبدًا؛ إنما يكرهانها لما تنطوي عليه: من قلة الضمير؛ على حد تعبير الزوجة؛ فكان لشاي "العروسة" الطعم الرائع إذا شرباه من هذا الكوب، لدرجة أنه من ضمن سعادتهما اليومية، فلا يستطعمان نفس الطعم لهذا النوع المفضل من الشاي ولا يتلذذان به إلا إذا شرباه في هذا الكوب..زجاج متين صافٍ لدرجة أن الكوب كانت إذا ما وقعت من علٌ على قعرها تدور ولا تنكسر، اشتراه أخوها حين قضائه فترة امتيازه كطبيب في بورسعيد؛ منطقة التجارة الحرّة.. كان كلما نزل إجازة أخفي في حقيبته الطّبّية بين ثيابه المستعملة بعض قطع من أدوات المطبخ التي كلفته بشرائها أمُّه المُدبّرة إبّان تجهيزها شيئً فشيئًا لحاجيات المطبخ، كانوا جميعًا شديدو الكلفة في إرضاء الزوجة؛ تنادي والدها إذا قبض الراتب:

- تعال يا فلان باسمه المجرد.

- حاضر يا أبلتي.. ويذعن؛ فتفتش جيبه، وتأخذ ما تشاء وتُعَقبُ:

- يا فلان؟ أتدكن شيئًا؟؟

- لا يا أبلتي.. وتفضحه النبرة المترددة؛ فتجذه من شعره، وتدعه لتنتقل إلى أمها:

- هي يا فلانة؟.. ما معك لهذه السفرة؟، لقد رأيت من كذا، كذا؛ وكذا؟ إذ يكون قد سبق شراء جيلًا أو جيلين من هذا الشيء؛ ثم ظهر جيلًا حديثًا تريد إضافته.

- كل طلباتك يا حبيبتي مجابة؛ ما رأيتهِ نُحْضِره.. فيهزأ الطبيب؛ من أمه التي لا تهتم بلباسها:

- أعربي يا فلانة.. أُمك بعكوكة؟.. ما موقع بعكوكة من الإعراب؟.. فتجيب وهي في حجرها:

- حال.

- يبقى حال أمك ماذا؟

- " بعكوكة " فتشتمهما في غير ضغينة كذلك:

- يا الله؛ يا أولاد..هل هذا جزاء الإحسان ؟.. فيتماديان في الهزار.

- أعربي؛ كذا..

- حال. وفي رأيه أن التدليل هو من أفسد عليه زوجه؛ ما تنفك تأمره، وهو يكره الأمر؛ فحُرِما الرضا، بيد أنه لم يوفق بينهما إلا رأيُهما في النخبة

التي قانت بعد ٢٥ يناير؛ فعكّرت الصفاء، ورأيهما في الإخوان؛ أنهم ينالون جزاءً مَاحقًا للفتنة التي أوقعوا الناس بها.. فسألته الزوجة تعجب:

- لِمَ يفعلون ذلك؟؟

- استكبارًا في الأرض، ومكر السيّئ؛ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.. ففي الحَلْقة الرابعة؛ عن الإخوان ونظام الحكمِ، لـمَّا سألت لميس الحديدي "هيكل":

- مصر إلى أين؟ قال:

- نبدأ الحديث عن أمر يخصنا جميعًا، وهو الإعلام.

- وهذه التهديدات التي انتقلت من مرحلة الحصار؛ ثَمَّ مرحلة البلاغات إلى مرحلة التهديد بإغلاق المحطات، كيف تفسرها؟ وإلى أين تأخذنا؟ مقدمة البرنامج.

- باستمرار هناك علاقة تناقض بين كل سلطة، وكل إعلام. هيكل. كلاهما يقف على طرفَيّ النقيض، السلطة باستمرار تريد أن تحتفظ بما تفعله لنفسها وتُعْطى الحقُّ في الولاية في التصرف في الشأن العام، بينما الإعلام والصحافة راغبان في أن يذيعا ويكشفا الحقائق للناس لأنها مسئوليتهما؛ فالتناقض الأساسي موجود في كل العصور، لكن المشكلة في الإخوان أنهم أتوْا للسلطة بعد تجربة شديدة المرارة واضطهاد

باستمرار، لكن عندما جاءت ثورة ٢٥ يناير، والسؤال حينها كم ساهم الإخوان بها؟ سنجد أنهم جاءوا متأخرين جدًا عن الميدان حيث كان لديهم بعض الترتيبات، ووجدوا أنفسهم فجأة أن السلطة جميعها وقعت في أيديهم، فنجد حينها أنهم لم يكونوا مهيئين أو مستعدين، فقد تعودوا على العمل السري، فقد وصلوا للمرتجى في نهاية المطاف، وتساءلوا كيف يمكن أن يحدث هذا؟! ووجدوا أنفسهم في صِدَام ليس مع الإعلام فقط، بل مع المجتمع كله؛ فالإخوان يرون السلطة أمامهم، ولم يتعودوا على النقد الساخر.. فقالت الزوجة وهما قاعدان يتابعان البرنامج:

- هذا الرجل لا أرتاح له؛ غَيَّرِ القناة؟

- اصبري؟ هذا، لديه معلومات، وله اتصالات، يخشى من مواجهة السلطة؛ يتقدم شيئًا فيلوم، ثُمّ يُداهن بالتبرير لأنَّ له حساباته وتقديراته للمخاطر.

- وما يجبرنا أن نسمع لواحد مثله؟

- قلت لأن عنده معلومات؛ وله اتصالات بالداخل والخارج، اصبري تعرفي نحن زمن الفتن الشديدة، والفَتَنُ تظهر معادن الرجال.. فسألته الإعلامية:

- وماذا باسم يوسف ؟! أجاب:

- في النقد السياسي والصحفي هناك عدة مستويات، فالكتابات في الصحف تعتبر كأنها الحرب التقليدية بين السلطة والإعلام، وكأننا نستخدم الرصاص والمدافع، بينما التليفزيون؛ كأن الإعلام يستخدم الطيران بصورة عابرة في حرية مع الحاكم، لكن باسم استخدم أسلحة غير تقليدية، فـ السخرية أرى أنها نوع من حرب الأعصاب أو غاز الأعصاب؛ وهذا ما لم يتعودوا عليه، وهم يقولون حرب أعصاب غير مقبولة، لكنهم يستخدمون الحروب النووية بالدين، هناك طرف مهزوم؛ والسخرية دائمًا تُوجِع.

- " نحن إلى أين؟؟

- نحن نخبط في الحائط من عدة زوايا، ليس من زاوية الحرية فقط؛ الاقتصاد، والتصرف العام، والفهم العام! الناس لم يكونوا مستعدين للمسئولية، واحد من مساعدي الرئيس قال لي: يرضيك إن الرئيس يتهزأ؟! فهم لا يستطيعون أن يستوعبوا، ففكرة السلطة في الإسلام.. ولم يسعفه لسانه لِعُتوّ سِنه؛ فاستكمل.. الرجل يتصور أنَّه؛ لِحَيْثُ عصمة لا يستطيع أن ينال منها أحد، لكن لا يدرك الحياة السياسية العصرية، وتصوَّرَ عصمةً ليست موجودة.

- هل يحاول الرئيس مرسي وإدارته أن يهربوا من الفشل من سوء الإدارة بالتركيز على الإعلام؛ وليس التركيز على السولار والكهرباء ؟؟..أجاب:

- المشاعر والكبرياء الشخصية تغلب على حساب المواقف، ولا يستطيع أن يواجه موقفه لأنه في عصمة المنصب، وفي عصمة تصور الدين؛ فالشعور داخل السلطة لا أحد يمكن وصفه، ولم يصرح بالوصف، واستخدم عبارة غامضة لا تدينه، واحد لا يواجه ما يراه، ويلقي اللوم على الآخرين، فماذا تنتظرين منه! لاشيء، فمشكلة الإخوان أنهم ليسوا فقط يواجهون سلطة لم يكونوا يعلمونها وينتظرونها، بل يواجهون مناخًا لا يعرفون شيئًا عنه.

- هل الأزمات الأخيرة قد ترفع يد الأمريكان عن الإخوان؟

- الأمريكان يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد، أَجِدُ بعض الإخوان بدَوْا كالمستكبرين في الأرض. ويعطون أوامر للبشرية؛ وهذا أمر يَخُضُّ؛ لابد من الأمريكان، وغيرهم، والشعب المصري بكل قواه الواعية وغيرهم.. ببساطة ما نراه ليس قريبًا مما كنا نتمناه؛ ما نراه غير قابل للبقاء.. ورغم بشارة هيكل بعدم بقاء الإخوان، غضب عليه مجاهد؛ واعتبر عبارة؛ الأمريكان يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد ممالأة؛ فأنبه:

- هذا مصيبة؟؟ الأمريكان أصحاب مشروع الشرق الأوسط الكبير؛ الداعمون والممولون للفوضى الخلاقة، وهذا يعلمه، فيقول أنهم يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد!! ..

فصدَّرت جريدة الوطن المعارضة عدد الجمعة ٥ أبريل صفحتها الأولى ببشرى:

هيكل: ما نراه في مصر غير قابل للبقاء٠٠٠ خاطفو الضباط المصريين في" غزة " يطلبون الإفراج عن عشرة جهاديين.. زوجة ضابط: كل وزراء الداخلية أكدوا لي وجود الضباط المختطفين في غزة " جمعة " ضد أخونة الأزهر.. و" سبت"لإسقاط الإخوان.. الدولار يسجل ارتفاعًا تاريخيًّا في السوق السوداء ليصل إلى ٣٠، ٨ جنيه.. سقوط أول شهيدة لـ " ظلام مرسي والإخوان بمحافظة دمياط " .. شيماء أشعلت شمعة بعد انقطاع التيار؛ وإثر سقوط الشمعة على مفروشات منزلها أشعلت النار فيها فاحترق جسدها.. المصريون، والسكر.. د. عميد معهد ناصر السابق: تجاهل مؤسسة الرئاسة والحكومة والمسئولين بالدولة مطالب المواطنين، وغياب الشفافية، والمصداقية في الوعود، وفقدان الثقة لدى الشعب، فضلًا عن غياب الأمن، والفوضى وراء إصابات المواطنين بالإحباط، واليأس، والقلق، والتوتر، التي تعتبر أهم أسباب الإصابة بأمراض ارتفاع ضغط الدم والقلب والأزمات القلبية.. الأبحاث العلمية والطبية الحديثة أثبتت ارتفاع معدلات الإصابة بمرض السكر بنسبة ١٢ ٠/ خلال الشهور الماضية من حكم الرئيس محمد مرسي، بعد أن كانت النسبة لا تزيد على ٨ ٠/ خلال ثلاثين عامًا من حكم مبارك... فتندر مجاهد لزوجته وهما يطالعان الجريدة: - السكر ٨ ٠/ في ٣٠ سنة لـ مبارك.. و١٢ ٠/ في ٨ أشهر لـ مرسي! وتساءل بأسىً؛ أهذا نهاية صبر هذا الشعب ؟!..لا أعتقد؟ فقالت تضحك:

- مرسي شرارة!..

* * *

قيل إن الخلاف بين مكتب الإرشاد والمؤسسة العسكرية بدأ على استحياء؛ ثم دخل في مواجهات مباشرة الأولى: حين صياغة الدستور، حين حاول أعضاء الجماعة تمرير إملاءات صندوق النقد الدولي بضرورة الكشف عن ميزانية الجيش، وخضوعها لرقابة مباشرة من الأجهزة الرقابية العاملة في مصر؛ مع صدور تعليمات أمريكية بمناقشة هذه الميزانية في الجلسات العلنية لمجلس الشعب؛ لكن المكلفين من قبل الوزارة أنهوا هذا الجدل برفض قاطعٍ.

المواجهة الثانية بين وزير الدفاع ومكتب الإرشاد في ١١ ديسمبر عام ٢٠١٢ حين دعا الأول للقاء يضم العائلة المصرية كمحاولة لاحتواء الأزمة الدائرة على الساحة السياسية، وضغط مؤسسة الرئاسة المستميت لمنع اللقاء، وأجريت العديد من الاتصالات الهاتفية بقيادات القوات المسلحة، وبالفريق أول عبد الفتاح السيسي، ولم تتوقف الاتصالات حتى الساعات الأولى من صباح الأربعاء ١٢ ديسمبر؛ وأوضح وزير الدفاع لمؤسسة الرئاسة: أن الغرض من هذا الحوار الإنساني هو محاولة رأب الصدع الذي ظهر مؤخرًا في نسيج القوى السياسية؛ الذي أثر سلبيًا في جميع المواطنين، وأن المؤسسة العسكرية تمارس مهامها بتجردٍ تامٍّ، ولا يعنيها إلا شعب مصر الذي تنحاز إليه دائمًا؛ في إطار عقائد إستراتيجية راسخة بأهمية عدم التدخل في الصراعات والممارسات السياسية، حتى لا تكون طرفًا ضد آخر..

المواجهة الثالثة: نية مرسي - غير المعلنة - تسكين الحمساويين بسيناء؛ فرد السيسي بالقرار ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢ بحظر التصرف في الأراضي والعقار الموجودة في المناطق الإستراتيجية ذات الأهمية العسكرية، والمناطق المتاخمة للحدود الشرقية، والجزر الواقعة في البحر الأحمر، والمناطق الأثرية وَحَرَمِها، والسماح فقط للمواطنين حاملي الجنسية المصرية من أبوين مصريين دون غيرها وللأشخاص الاعتبارية المصرية المملوك رأس مالها بالكامل لمصريين حاملي الجنسية المصرية وحدها بالتملك في سيناء.

المواجهة الرابعة: عندما رفض السيسي لقاء قادة حركة " حماس " بعد تَوَلي الهيئة الهندسية هدم الأنفاق بعد ورود أنباء عن تورط قادة هذه الحركة - التي تعتبر فرعًا من فروع جماعة الإخوان في القطاع المحتل - في مقتل الجنود المصريين برفح، ورفضهم تسليم بعض الأسماء البارزة في الحركة، مع تواتر تأكيدات: أن مؤسسة الرئاسة رفضت استكمال التحقيقات في هذه المجزرة التي اتخذت حجة للإطاحة بالمشير، وعنان، وبقادة المجلس العسكري.

وأنهي السيسي سجال الوساطة في لقائه بضباط القوات المسلحة ١٤ مارس الماضي: لن ننسى من قتلنا ونحن صائمون؟ والغدر لا بد أن ينكشف ولا بد من الثأر ممن قتلهم؟ لا تنسوا مهما طال الوقت قتل الجنود المصريين الشرفاء؟ .. فقالت م/ أمنية في اتصال هاتفي:

- لو أن مصر فيها عشرة مثل السيسي ما صار حالنا هكذا ؟.. فأجابها مجاهد في يقين:

- مصر مليئة، وهذه الجماعة تنتهي.. فخضعت في توافق:

- تذكرت حديثك عن هذه الجماعات، وعن مشاهير الدعاة، وعَجِبْتُ يومها كيف تهاجمهم؟ واستحْيَت أن تقول، وأنت ذو لحية ورجل دين، واستطردت، حتى ظهرت حقيقتهم المؤسفة؛ فقلت: سبحان الله؟! الأستاذ مجاهد قال عنهم ذلك .. فأكد لها:

- تَعَلُّمِ الدين لا يكون على أيدي هؤلاء القاعدين للفضائيات للشهرة !.. خَصَّصُوا يومًا من كل أسبوع، تجلسون والبنات ساعتين؛ خَمْسَ أو عَشْرَ آيات كل أسبوع تقرؤونها صحيحة وتحفظونها خلاله؛ وتعلمون معانيها وتنظرون أين أنتم منها، وتبذلون جُهْدًا؛ يَسْمَعُ فيه بعضكم بعضًا، وإن التبس معنى اتصلوا أناقشه معكم.. فأسَرَّت إليه:

- حاولنا وفشلنا؛ نَنْسَى؛ الرَّأْسُ لم يعد يَصِرُّ.. وكانت قد أخبرت عن إصابتها والزوج بالضغْطِ، أما إصابتها بالسكر فكان خَبَرًا محزنًا جدًا له:

- متى حَدَثَ هذا؟!.. فقالت تأسى:

- من كانت خِلْفَتُهُ البناتِ لا يَسْلَم.

- وهل كان أحد الوالدين مصابًا به؟

- نعم؛ الوالدة.

- نَرْجِعُ من مشوار المنصورة مهدودين تمامًا؛ نحتاج بعدها يومًا كاملًا حتى نسترد عافيتنا؛ لم نعد نحتمل السفر.. فقال في نفسه؛ حتى هذا لم يكن مُجديًا؛ لم نجلس ولو لمرةً لحديثٍ! وأخبر؛ أن الكتب تركها عند الأخت بشقة الوالدة لترسلها لهم، وعن إيصال استلام دار الأيتام لطقم الفيركس، وإيصال آخر معه، ولم يرد أن يكشف أنه خاص بتسليم البذلة وماكينة الخياطة، فشكرته:

- وأيضًا كلفت نفسك؛ متشكرين جدًا لهذا الاهتمام وهذه العناية، اطمئِن، ستصل إلينا؛ ابن أختي هذا يَمُرُّ علينا دائمًا، وسيحملها إلينا.. وسألته:

- ألا تريدون أن تأتوا أنتم إلينا في القاهرة قريباً؟؟

- أفكر في أسبوع في إجازة نصف السنة نقضيه في القاهرة، وحتى لا تحمل همًّا سننزل في فندق، ونستعين بكم في زيارة أهم الأماكن، فأنا لا أعرف كيف أتنقل بالقاهرة؟.. وقال:

- سأخبركم بالميعاد متى عزمْنا، جزاكم الله خيرًا، يكفينا صحبتكم لنا لأهم الأماكن التي لا نعرفها؛ ردًا على عرض لنزولهم لديهم بدلًا من الفندق.. وقالت:

- يا خبر..؟! كل هذا؛ ولم تفعل شيئا؟! شَغَلْناك، ونَعْرِفُ أهمية وقتك، نَنْتَظِرُ مجيئكم إلى القاهرة، سَلِمْ على الزوجة.

- الزوجة عندها درس للنساء في المسجد، لو كانت هنا لكلمتكِ، اتصلي كلما أردتِ.. سلمي على الزوج والبنات.

- مع السلامة ؟.. مع السلامة ؟..

كان قد ذهب فاشترى نسخة مختصرة مُحققة من تفسير ابن كثير؛ ثلاث مجلدات جديدة متوسطة الحجم الكتابة لونين لمْ يحمِلَها إلى الشقة وتركها في شنطة السيارة حتى لا تؤنبه الزوجة على هذه الحفاوة وتسأله عن الثمن؟ واستخرج من المكتبة المجلدات الثلاث للوصايا.. شرح أحاديث بأسلوب سهل؛ يَعْرِض لقصص أهل الإيمان من الصحابة والتابعين الذين حققوا الإيمان وخشعت له قلوبهم، آثارٌ مُسَلية ينْشرحُ لها الصدر، وجدها تناسبهم، وضعها مع مجلدات التفسير في حقيبة السيارة، وعند تسليمه لطقم الفيركس فوجئ بإيصال آخر يُحْتَفَظُ لَهُ؛ مُثْبَتُ فيه البذلة ورأس ماكينة خياطة سنجر/ مع الدَّوَّاسة بخط واضح؛ فَفَرِحَ جدًا..

في عناية شديدة دَبَّسَ الإيصالين بالنسخة الجديدة المغلفة لتفسير ابن كثير، ليتأكد للزَّوْجِ ولمدام/ أمنية أن الماكينة التي حرضت على الاحتفاظ بها لأهل بيته، والبذلة كان مصيرهما مصير الأشياء المُتَبَرّعُ بها. شعر أنَّ الرد قاسٍ؛ لَكنه جُرِحَ؛ فليس هو من يقْبلُ لِبيته ولا لنفسه فضلة غيره، وأقبل فَرِحًا

إلى شقة الوالدة حيث الأخت؛ وكانت مدام أمنية قد اتصلت تعلمها بميعاد مجيئه، وَسعِدَ جدًا أن يَسْتَمِعَ للمرة ثانية للصوت الشبيه بصوت مدام أمنية يخاطبه، وللعبارات الودود؛ ففوجئ أنه كان غبيًّا عندما تحدث إلى مدام أمنية عن ذلك، وعلم أن المرأة لا تحب أن تكون ظلًا لأخرى ولو كانت أختها الشقيقة؛ فالأخت الذي بلغها- بالتأكيد- تعليقه أحجمت عن النُّطق تمامًا ومنعته صَوْتها؛ ففقد ينبوع حنانٍ أراد أن يستقيه ولو لحْظَة ؟!.. وفكر في " السُّكَرِ " الذي أصاب مدام أمنية، فاستشعر أن اللَّهْفَة عليها خبت! وكان يعلم أنَّ أصحاب هذا المرض المزمن في مشاكل صحية تتفاقم مع الكبر، فلا يكادون يقومون بأنفسهم؛ غير أنّه وجده حريصًا ألا يؤذيها، ورجا لو يعينها - بحق- في شأن الدار الآخرة، وأحس حرجًا شديدًا من فِكْرة الاتصال للحديث أو للاطمئنان بامرأة متزوجة؛ واعتبر صدور ذلك من شخص داعية غير لائق؛ فكان يرجع عن الاتصال حتى لا يَشقيها مع البعد وعدم القدرة على اللقاء؛ وسأل لها خاطرًا سعيدًا؛ ليس كخاطره الشَّقيّ الذي يتهافت للمودة. ووجده يفكر في زوجته الصغيرة السّن؛ صاحبة الأطراف البديعة! تخطت عقبة الإنجاب الذي يجعل عند النساء كُلّهنَّ حاجة شديدة؛ وشعر أنهما لا ينقصهما هذا الشيءُ الذي لا يأتي بِهَمّه؛ بل أضلَّ كثيرًا وأشقى كثيرًا! ودُهِشَ لجحود قلبه؛ وذهاب لوْعة الحُبّ لمدام أمنية! أ لأنه لم يعد يرجو منها أن تقوم بنفسها؟ ٠ وسعى في وُدّ زوجته؛ ولم يدرِ أي شيطان لعين استحوذ عليها، وأي لوثة أصابت عقلها؛ تَنزعُ إلى البغضاء، وتُصِرَّ على أشياء تتباغض إليه بها:

- أنظر أولًا في شأن نفسك.. وكان قد تلطف للحديث؛ فعاندت..أجاب:
- نعم أنا أنظر في شأن نفسي؛ فهل تَشمّين لفمي رائحة؛ أنا أحرص أن أستاك دائمًا؛ وأعني بنظافة أسناني.. قالت:
- رائحة فمّي أطيبُ من رائحة فَمَك، أنا لا أحتاج أن أستاك كما تَجهد أنت لهذا كثيرًا، أُنْظُرْ إلى أسنانك كيف هي ؟.. وكان خِلالُها غير ناصع البياض لأن بعضها في مواضع يركب بعضًا، فيصعب - رغم الجَهْدِ- إزالة بعض خُلاتها، فأراها أنها لا تنبعث منها رائحة، فأبت أن تستعمل السواك إلا لَمَّةً، معْتَدّة بأن أسنانها لا اعوِجاج فيها، رغم أنها كَدِرةٌ غَبِرةٌ من ضعف بذل الجهد في تنظيفها !٠٠ وإذا دخلت الحمام لا تكلف خاطرها بِدَلْق ماء لإزالة الرائحة، وإن فعلت لإلحاحه، أصرّت أن يكون المدلوق نَذْرًا، وغالبًا ما يقع بينهما بسبب هذا شّجارٌ إذ يُباغتها بسؤال:
- هل دلقت ماءً في عَينِ الحمام؟
- لا؛ ولن أفعل؛ وإن كان عجبك؟ انظر أنت إلى الرائحة التي تخلفها من جراء استخدامك للحمام؟ لا تطاق. فصابر:
- أنا لا أخرج من الحمام قبل أن أدلق ماءً كثيرًا أزيل به الرائحة..قالت:
- لن أفعل.. فسألها؛ وجماع صبره قد نفد:
- ولِمَ.. ؟
- لأنّي إن فعلت؛ تدخل بعدي، وتدلق ماءً ثانية.
- لأنكِ لا تعتني؛ والماءُ المدلوق يكون قليلًا لا يزيل الرائحة.

- لأجل هذا لن أفعلها ثانية.. فانفلت:

- هذه قلة أدب؟

- لا تُطَوِّلْ لسانك؟.. قال:

- أعوذ بالله؟.. أي نوعية من النساء هذه؟!

- وماذا يجْبِرَك؟ أبحث عن النوعية التي تحبها؟ وتذهب لتلمح إلى العلاقة الحميمة؛ وأنها لا تريد التعامل معه. فيسْتَفزَّ جدًا:

- يا شيخه اتنيّلي؟ كرهتنا في كل شيء؟ يا اللــه؟ أي امرأة غبية هذه؟!.

- وأنت لا تطاق؟ لا تعاشر ؟.. ويقوم بينهما الخصام أسبوعًا؛ ويُضْطَرُ هو للعَوْد؛ فما أصبر النساء على العلاقة الحميمة؟ تَقْلب وجهها تستحضر النكد؛ فَيَفْسُدَ كلَّ شيء!.. وإن اعترفت باعوجاجٍ، أرجعت سببه إليه.

- إني لأرى ذنبي في عثرة دابتي وإعراض زوجتي؟

والأمر الذي يستشيط غَضبًا؛ أن يكون منها مثل هذا السؤال:

- من جاء اليوم بكذا ؟! تسأل عن خبز رجعت فوجدته.. فيحاول المحافظة على هدوئه متغابيًا اتهامها:

- الحاجّة، يعني الوالدة، هي من بعثته.

- مع من ؟٠٠ مع حسناء أو يقول/ مع أحمد حسام أو أدهم؛ وهذان غلامانٌ صغيرٌانً؛ وهذه صبية لم تبلغ الحادية عشر عامًا؛ من أولاد بنات أخواته؛ هو لهم خالًا جدًا؛ فتردُّ بنبرة خبيثة:

- أاا..؟!!.

- ماذا تقصدين؟؟.. فتصمت، فينفجر:

- أنا أطْهَرُ من ملء الأرض م مثلك.. فترجع إلى التلطف، وإن لم تزل تَشُكُ:

- .. "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى".. فيكاد الدم يقف في عروقه من الشّناعة.

- قاتلك الله؟ أنت امرأة سوء؟٠أنت امرأةٌ لا تستحْيا؟... هذا إن وقف الشّجار عند هذا الحد؛ ولم تدخل في قصة:

- طلقني؟؟ أنا لم أعد راغبة في العيش معك؟ .. هُنالك عَرَفَ فضل أمُّه؛ إذا أبصرته يَجْمعُ على عجل غطاء السيارة حين ذهابه للعمل؛ تترك محل البقالة الذي تفتحه من السادسة صباحًا لحاجة النساء، وتقبل تعاون دون أن يُطْلَبَ منها ذلك !.. وإن كانت بالداخل وسمعت صوت محرك السيارة بدأ يعمل؛ وجلس للقيادة، جاءت تقبله، فيسرع في إنزال زجاج الباب، ويخرج رأسه وينزل على يدها يُقَبل؛ فتقبل وجنتيه فيسألها قبل انصرافه:

- أتأمرين بشيء يا حاجَّة؟

- لا... وتتأخر لَتدْعو له؛ مع السلامة يا ابني، ربنا يفاديك؟ وتناديه:

- على مهلك؟ ما تنكرشّ ؟.. ولأن كل نواحي مصر باتت تَشْـهَدُها القلاقلُ؛ إذا أبصرته، في غير وقت العمل، متجهًا نحو السيارة لشأن خطبة أو درس استفسرت كذلك:

- بالمشيئة؛ إلى أين ؟.. فإذا كانت الخطبة خارج نطاق الدقهلية، ورأته مُتَرَجّلاً بداية اليوم الحقيبة فوق كتفه:

- ذاهب بعيدًا ؟..

- نعم يا حاجة؛ محافظة كذا..

- عَليُّ؛ ذاهب معك ؟..سائق يَكْري سيارته؛ يسافر معه للأماكن البعيدة أو المجهولة له.

- نعم يا حاجة.

- طيب يا ابني، ربنا يُفاديكم ؟.. ولا يرتاح قلبها حتى تتصل بعد الخطبة أثناء العودة:

- نعم يا حاجة؛ نحن قادمون في الطريق، لا تقلقي؟؟

- طيب يا ابني؛ بالسلامة ؟.. فيدعو لها من نياط قلبه.. ويسأله السائق، فيجيبه:

- الحاجـــة، تطمئن علينا.

- إي يا سيدي؛ طبعًا؛ قلب الأم... وكثيراً ما يَخْلُف الغطاء لدى عودته من العمل فوق ظهر السيارة دون بسطٍ؛ مهرولًا لتناول الغداء؛ ليلحق بساعة نومٍ قبل العصر، فإذا خرج إلى الصلاة بسطه، فيجد الغطاء فوق السيارة مبســـوطًا، فيبتهـــل فـــي نفســـه: لا أخـــزاك الله أبـــدًا يـــا حاجة؟

في هذه الآونة كان يُجْري ذبح القضاء من خلال تمرير قانون تعديل السلطة القضائية؛ فشهدت جمعة أمس ١٩ أبريل ٢٠١٣ مصادمات دامية بين أعضاء جماعة الإخوان وعدد من القوى الإسلامية من جانب، ومتظاهرين من قوى ثورية وجماعة " البلاك بلوك " من جانب آخر.. دعت جماعة الإخوان لمليونية تطهير القضاء بذريعة الاعتراض على قرار إخلاء سبيل الرئيس السابق" مبارك " في قضية قتل متظاهرين ٢٥ يناير؛ فتوافد أنصار الجماعة، وحزب الأصالة، والتيار السلفي العام محيط دار القضاء العالي منذ الساعات الأولى من صباح الجمعة؛ فجرت أمام دار القضاء اشتباكات بالخرطوش والحجارة بين عناصر الجماعة، وأعضاء ال " بلاك بلوك " بعد أن قامت الأخيرة بإشعال النار في ٣ أتوبيسات للإخوان بميدان عبد المنعم

رياض؛ في المقابل شهد ميدان التحرير مظاهرات للمطالبة بإسقاط النظام، ورفض هدم القضاء، ودعوة الجيش للنزول لحماية الدولة المدنية.

وفي الإسكندرية تظاهر المئات في ساحة مسجد القائد إبراهيم عقب صلاة الجمعة للمطالبة بإقالة وزير الداخلية ووزير العدل، ووقعت اشتباكات بين المتظاهرين وعناصر من الجماعة أمام مقرها في سموحة، استخدمت فيها الحجارة والخرطوش..

وبالزقازيق شرقية رشق المتظاهرون الأمن بالحجارة، فأطلقت قوات الأمن قنابل الغاز المسيل للدموع، فسقطت قنبلة داخل نافذة إحدى الشقق السكنية المواجهة لمقر الجماعة..

وفي الدقهلية احتشد العشرات بميدان الثورة بالمنصورة للتنديد بحكم مرسي والإخوان، ونشبت مناوشات خفيفة بين المتظاهرين وبين أنصار توفيق عكاشة، وشهدت محافظات دمياط، والغربية، والبحيرة مسيرات ووقفات أيضًا ضد الجماعة..

فخرجت جريدة الوطن تنبئ.. رئيس مجلس الشورى كلف اللجنة التشريعية بسرعة الانتهاء من مناقشات مشروع قانون " السلطة القضائية "..

أما المصري اليوم فقالت في صفحتها الأولى لنفس العدد ٢٠ أبريل..المستشار الزند؛ رئيس نادي القضاة: إن الذي ينادي بتطهير القضاء من الأولى به أن يطهر نفسه! وأن القضاة سيبدؤون جمعية عمومية حاشدة

للنظر في ذلك، وأن النادي بدأ في الدعوة لمؤتمر دولي لوقف الاعتداء على القضاء ...

وزير العدل: إن تخفيض سن خروج القضاة للمعاش إلى ٦٠ عامًا يُعَدُ مَذْبحةً جديدة للقضاء؛ وأن السبب وراء إصرار الإخوان على تمرير قانون تعديل السلطة القضائية، هو استفزاز نادي القضاة لهم؛ مجددًا تهديده بالاستقالة من منصبة إذا تم تمرير هذا التعديل.. فعلق مجاهد لزوجته وقد قعدا عن التظاهر؛ من حزب الكنبة يتابعان التلفاز:

- هذا؛ يعني وزير العدل؛ عينٌ في الجنة وعين في النار يبرر للإخوان، وفي آخر لحظة سيقفز حين غرق السفينة.. وقال لزوجته دهِشًا:
- انظري؟ مصر باتت تدار بالاستفزاز؟٠ لكني أظن أن هذا ادعاء من أجل أخونة القضاء، وذبحه كما قال "حمدين " فقالت:

- لم أعد أرتاح إلى كل هؤلاء الذين لا يفعلون غير الكلام .. فَنظَرَ إليها آسفًا لإصرارها على ترديدها نفس الكلام.. وسألها:

- وهل بأيدي هؤلاء أن يصنعوا غيره؟!

آخر المستقيلين من مستشاري الرئيس، نائب رئيس مجلس الدولة؛ وأنبأت عين جريدة المصري اليوم؛ أن السبب الرئيسي لاستقالته من منصب مستشار رئيس الجمهورية للشئون القانونية ما شهده بنفسه من اجتماعات سرية تعقد داخل قصر الاتحادية تضم أعضاء ومحامين

بتنظيم الإخوان وشخصيات موالية لهم مع أفراد الفريق الرئاسي المعاون للرئيس، لترتيب إجراء تمرير قانون السلطة القضائية داخل مجلس الشورى، وأن الاجتماعات برعاية الرئيس؛ أبرز الأسماء التي شاركت في الاجتماعات فلان القيادي بحزب الوسط، د. فلان وزير الدولة للشئون القانونية السابق؛ وَرُصدَ تدخلًا كبيرًا من المهندس خيرت الشاطر؛ نائب المرشد العام في العديد من الأمور القانونية، بما يتداخل مع اختصاصات جاد الله؛ كمستشار للرئيس..

فشنَّ قيادي إخواني أمام مكتب الإرشاد حربًا عليه: القضاء فاسد، والفساد متفشٍ في كل مفاصله، وأنه من قام بمذبحة للشّعب، وزَوَّر لصالح أحمد شفيق؛ وإلا ما كان حصل أحمد شفيق على ١٢ مليون صوت في الانتخابات الرئاسية السابقة.. وتساءل يتحدث لوسائل الإعلام:

- لماذا لم يستقيل جاد الله من منصبه كمستشار للرئيس منذ فترة، طالما أن هناك أمورًا يعترض عليها؟! وفي زلة لسان شهد لمن تجنّى عليه.. قال:

- العلاقة بين مكتب الإرشاد والرئاسة، مثل علاقة الأب بابنه، لا يستطيع الانفصال عنه.. فدهش مجاهد لنصر الله السريع لـ جاد الله، وأثبت لزوجه مبتسمًا:

- وَلتَعْرفنَّهمْ في لحن القولِ، واللهُ يعْلَمُ أَعْمالكم.. أيها الكاذبون..

وفيما دعت قيادات الدعوة " السلفية وحزب النُّور " الرئيس مرسي وجماعة الإخوان، لإعادة طرح مبادرتهم على طاولة الحوار، لإنهاء الأزمة السياسية الحالية، مرحبين بالعودة لمساندتهم في حالة قبولهم شراكة القوى السياسية، طرح أمس الأربعاء ٢٤ أبريل، المنسق العام لجبهة الإنقاذ، مبادرة جديدة لتجنب ما أسماه " الانفجار الوشيك " في تدوينة عبر حسابه الخاص على موقع التواصل الاجتماعي: إلى الرئيس محمد مرسي ومن مَّعه.. أحملك باسم جموع الشعب المسئولية الكاملة عن حالة الاستقطاب التي تمزق الوطن، اسْتَمِعوا لصوت العقل قبل فوات الأوان..البداية هي سحب مشروع تدمير السلطة القضائية، وتشكيل حكومة قادرة مستقلة، واختيار نائب عام جديد، ثم الدعوة لحوار وطني جاد.

وأضاف البرادعي: الاستقطاب في مستوى خطير، وتحطيم القطار وشيك، ومساعدو مرسي يقفزون من السفينة !..

وظل منصبا المدير العام ومدير المديرية بمديرية القوى العاملة بالدقهلية خاليين مدة ستة أشهر أو يزيد؛ لم يجهز لأحدهما وزير القوى العاملة الإخواني ؛خالد الأزهري أي عنصر من عناصرهم حتى خرج القائم بالعمل معاشًا فأصبحت المديرية تضرب تقلب، ويومًا التقى في حجرة الوكيل على غير ميعاد مدير المديرية الأسبق شاكر، و" أوباما " قبل خروج الأخير معاشًا؛ فمد الأخير يده في شياكة مُبتهجًا يصافح، فلم يمد شاكر يده له، وظل الحال هكذا فترة، حتى بَلَّلَ العرق كُلَ من بالحجرة؛ ظلوا ينظرون في بلاهة

وقد أخذتهم الدهشةُ؛ لا يصدقون أن تلك القيادات يكره بعضهم بعضًا إلى هذه الدرجة، خاصة إذا خرج أحدهم معاشًا!.. وعلى مسمعٍ من الجميع، أنَّب" أوباما " نفسه قبل أن يخرج:

- عمومًا؛ أنا استأهل لأنّي مددت يدي إليك.. وكان من عادته الحميدة أن يرد صباحًا حجرة الوكيل ليسلم قبل أن يدخل مكتبه؛ يومها زأر الوكيل في شاكر:

- لن ينفع ذلك ؟.. الرجل رئيسي الحالي كما كنت أنت رئيسي السابق، تهدأ النفوس ونجلس للتصافي؟٠ فاختفى شاكر حينًا ثمَّ جاء يبتسم في بلاهة! فرفض الوكيل مجالسته:

- لا تحرجنِ أكثر من ذلك ؟.. فخرج يطوف على الإدارات، فأقبل عليه من أقبل، وأدبر عنه من أدبر.. فنزل يَطَوفُ على الإدارات والمكاتب خارج الديوان؛ فسمعته زميلة من الاستخدام الخارجي يَهْزل رافعًا صوته، فأسرعت بتنبيه مجاهد، وكان يقرأ من ورده، وهم يتابعونه من مصاحفهم:

- يا شيخ مجاهد؟ شاكر.. فقال في ثقة:

- اطمئني؛ لن يحضر؛ ولن أدعوه؛ فليس بيننا وبينه عَمَارٌ.. ثمَّ عاد فاختفى تمامًا؛ ولم يعد يرى له مجاهد طوافًا؛ أمّا مدير المديرية قبل الأسبق؛ الذي في ذراعيه طول، صاحب العبارة الشهيرة..أقطع ذراعي وأرميه

للكلاب؛ فكان طوافه لا ينقطع عنهم؛ لدلالته عليهم منذ كان مديرًا للخبرة؛ الاستخدام الخارجي الآن.. وكان من فرط سعادته يبتدرهم:

- السلام عليكم؟ كيف الحال؟ فيحدث الحرج؛ ويهمُّ كُلُّ واحد منهم لإخلاء مكانٍ له ليجلس فيقول بذراعه الطوال؛ أن امكثوا؟ ويبتسم متعللًا:

- أسلم على الناس أولًا، ثمَّ آتيكم.. ويتردد في الصدور لحظتئذٍ عبارة واحدة:

- ليتك لا تأت؟! إذ يظل قاعدًا مثرثرًا حتى تغادر النساء، ويتَسَرَّبَ الزملاء؛ وفي الغالب، إن لم يكن عند مجاهد درس، فيسرع في رواح النساء؛ تُصَفْصَف الحجرة عليهما، فيقصص عليه من تاريخه ما سبق أن قصه مرارًا..

فجرًا، أوَّلَ ما عُيّن، يهرع ليركب أول قطار ذاهب إلى طنطا، ليستقل منها في السابعة القطار الذاهب إلى بركة السبع؛ بحيرة؛ كضريبة يدفعها كل من كان راغبًا في العمل في الحكومية، ليس كالحال الآن؛ كل يعمل تحت نافذة بيته؛ ولا يُعجبه؟! ويضحك، وفي الثانية بعد الظهر، فيأوي إلى فراشه استعدادًا لذهابٍ جديدٍ، عشر سنوات قضاها يتنقل بين المحافظات، ينفق الراتب - الذي حينئذ تسع جنيهات-، فلم يدخر شيئًا؛ ويُطْعَمُ من البيت، ويضطره السفر لوجبة سريعة في الطريق؛ وأبى بشدة أن يبيع له والده قطعةً أرض لتزويجه، وكان يعمل شيخًا للخفر، أمَّا

العمودية فكانت لخالة، ولأنه لم يدخر شيئًا؛ لم يفكر حينها في الزواج؛ وهنا يصمت عن جانبٍ من القصة.. وفق الساعون للخير بينه وبين زميلة مثله؛ فاتها قطار الزواج، أدخلوهما في جمعيات، وكانت كغيرها من العفيفات قد سبقت إلى تجهيز مطبخها كاملًا وبعض العفش، فدخلا وقد تخطى الأربعين، وتخطت هي الثلاثين.. يصمت عن هذا الجزء، ليرْوِي عن جيل يحمل هَمّه الوالِدان، ولا يحملون هم هَمَّ أنفسهم ؟٠ وضحك.. فتربص مجاهد من الحكاية؛ فسأله أن يصطحبه معه:

- حضرتك نازل السوق؟ أم ذاهب إلى البيت فآخذك في السيارة في طريقي؟ فلم يبقَ في المكان غيرنا. فسأله عن فرص السفر للخارج؟.. قال:

- الرواتب انخفضت جدًا، فالمعروض - كما تعلم حضرتك - أكثر من المطلوب؛ الأطباء والصيادلة والمهندسون، والممرضات، مطلوبون، وتظل رواتبهم معقولة، يعلم أن ليس في ذريته من هؤلاء، أما مهن المحاسبين، والعمال، والحرفيين، وما شابه، فانخفضت رواتبهم كثيرًا.. فأفصح عن سبب الزيارة:

- سافرت مع ابني إسلام، لمقابلة في شركة سفريات بالقاهرة، بناءً على إعلان بالجرائد، فعرضوا علينا لمهنة محاسب ألفي ريال راتبًا، فرفضت لأن الراتب غير مناسب.

- أعتقد أن ألفي ريالٍ مناسب لمهنة محاسب جدًا، يحرضه على القبول؛ فاستدرك مدير المديرية قبل الأسبق:

- هم يعطونه في البنك ألفين وخمسمائة جنيه لكنه يشقى بها، يخرج قبل الثامنة، ولا يرجع إلا عصرًا. ولأنه فَهِمَ فحوى الرسالة قال:

- إن جاءتنا فرصة محاسب؛ براتب أكثر من ألفي ريالٍ سأرسل لحضرتك مع فلانة؛ الزميلة الرسول إلى م/ أُمنية، وكان جارته، وفي نفسه وقع فيه؛ ابن سعادتك حديث التخرج، عينته بعلاقاتك في بنك الائتمان الزراعي، ومثله ماضٍ بالشارع، لا أعتقد أني سأتكلف البحث لك عن فرصة عمل محاسب، وفرضًا، إن جاءت، فسأمنحها لِمنْ ليس له ظهر؛ وبلغا المكان الذي ينبغي أن يُنَزل عنده فتوقف؛ إلا أن مدير المديرية قبل الأسبق مكث، وظل هو يسمع مضطرًا، حتى أذن العصر، فلاحت الفرصة؛ فجلَّى له عن رغبته:
- ألحق صلاة العصر عندنا في المسجد جماعة ؟ أتأمر سيادتك، بشيء ؟..
فقطع حديثه ونزل؛ فانطلق بالسيارة سريعًا، يفكر في الصلاة؛ وفي الزوجة، التي متى عاد إليها الآن بكتته:

- ما كان بدري؟ فشهق شهقةً عميقة؛ أنبأ انْفلَتَ إليها عُذرًا، فاستمرت تحقق:

- وأين كنت يا فاسد ؟..فقص عليها القصة؛ وفرار الجميع من مدير المديرية قبل الأسبق وتركهم له معه؛ ولم يعلق لحديثه لعله يفرغ؛ حتى أذن العصر،

وأسف لاضطراره إظهار رغبته في الانصراف، ليلحق بصلاة العصر هنا في المسجد فقالت تتشكك:

- وعاوِزني أصدقك؟؟

- اتصلي بفلان وبفلان اسأليهم ؟..وكأنه عقد بينه وبين زميليه اتفاقًا خبيثًا.

- أنا أعرف بك منهم؛ السيارة هذه تساعدك على الفساد؛ تأتي بها المصائب؛ أنت ألعبان..فغضب:

- إنّا لله، وإنا إليه راجعون؛ هذه مصيبة!!٠٠ وذات مساء اتصل على الموبايل شخص لا يعرفه، وكانت تراقبه.. فأجاب ذاهلًا:

- وعليكم السلام.. فأخذ الشخص في عتاب مباشر:

- أينفع ذلك يا شيخ مجاهد؛ أن أَحلَّ ضيفًا عليك منذ أربعة أيام؛ ولم تجيء مرحبًا بي ؟!.. فعجَّبَ:

- من معي؟

- وأيضًا لا تعرف صوتي؟!

- سامحني؛ العقل لم يعد يصّرّ.. فاستطرد الشخص يلمح:

- لقد عملنا من قبل معًا؟ فانطلق مُندهشًا من المبادرة:

- الأستاذ عادل؟!!

- نعم؛ عادل، مع حضرتك عادل خليل؛ مدير المديرية الجديد.

- أهلًا بك..قدرٌ جميل أن نعود فنلتقي.

- اتصلت بك على الأرضي منذ ساعة فلما لم أُحَصّلْ أحدًا، فطلبت من أحد الزملاء رقم الموبايل؛ محبيك كثيرٌ.. تحدث الشخص في تواضعٍ؛ فأخذَتِ الصفاء بقلبَ مجاهدَ؛ وفي رِقّةٍ بالغةٍ انجلى لهذه الحكاية:

- بالأمس فقط، كنت في حملة خارج نطاق المنصورة، فسألني السائق عن مدير المديرية الجديد؟ وأنه من القاهرة؛ وكان يعمل بالوزارة، وقادم من الشرقية؛ أتعرفه؟ فقلت صفه لي؟ فذكر؛ طويلًا؛ قمحيًّا؛ لا يزال صغيرًا جدًّا؛ مواليد أربعة وستين، أصغر من أي مدير إدارة لدينا، ولم أتأكد للاسم، سامحني؛ فأنا لا أبادر إلى أُولي الأمر حتى يتم استدعائي.. وعاد للقسم:

- والله؛ لو كنت متيقنًا أنه أنت لبادرت، واليوم كان عندي درس في المسجد؛ والزوجة كانت خارج البيت. غدًا - إن شاء الله - أجيء سيادتك؛ يسعدني رؤيتكم.. وأراد أن يتكلف له؛ ويسعدني العمل تحت رئاستكم، فلم يستطع لها؛ فَعَدَّلَ ضاحكًا بنكتة عن "مرسي" أنت هنا - كما يقول مرسي - بين الأهل والعشيرة.. قال:

- كلنا إخوانٌ.. فتوقف له:

- لا؛ أنا لست إخوانًا.

- أعرف، وأعرف أنك لن تتأخر عن المعونة.. وفي أدبٍ جمٍّ طلب منه أن ينهي هو المكالمة أولًا:

- تفضل؟ تفضل يا شيخ مجاهد؟

- جازاكم الله خيرًا؛ هذا من كرم أخلاقكم.. ورأت الزوجة السرور في وجهه فسألته في شكٍّ:

- خيــر؛ من هذا الذي أسعدك اتصاله؛ وسيادتك مُهتمٌ به إلى هذه الدرجة؟؟

- هذا مدير المديرية الجديد؛ يعاتبني لأني لم أذهب فأرحب به؛ وتكلم بأدبٍ؛ وأننا زملاء؛ شركاء القرار. وقال: جميعنا إخوانًا، فقلت له؛ لست منهم، أرجو أن تكون هذه بداية صفاء، وتعاون على الإصلاح، فأنا أكره التَّعالي، وتعبت من المجاهدة ..وحكي لها من خبر عادل خليل.. سمعت به من بعض الزميلات اللاتي يأتين من الإدارة العامة لتفتيش العمل بالوزارة للمشاركة في تعيين مقار شركات إلحاق العمالة الجديدة، وغالبًا ما يكنَّ من القوارير؛ فأجاملهنَّ: الإدارة العامة لتفتيش العمل أحب إليَّ من الإدارة العامة للاستخدام الخارجي؛ رئاستي المباشرة بالوزارة.. فتقفز الدماء في وجوههن سعادة:

- لأجل هذا نأتيك مباشرة دون الصعود للمديرية، بل نعتبرك رئيسنا المباشر، نحن عندما نأتي إلى الدقهلية نأتي مطمأنين لأنك هُنا؛ وأخبرْنَه من شئون الوزارة؛ ضمن ما أخبرن عن عادل خليل، الذي لم يره. مُتفرغ لملاحقة شركات إلحاق العمالة؛ يكاد يبيت عندهم٠٠ ثمَّ تقابلا؛ بعثه مكتب شئون معالي الوزير منذ عامين؛ تقريبًا، مع شخصين لملاحقة إحدى الشركات الكائنة بالدقهلية لأنها أخلت بالتعليمات؛ لم تعطِ الوزارة حصتها من خدمات الحجاج، وصلوا بعد المغرب وكان المتحدث عادل خليل:

- قادمون بتكليف مباشر من مكتب معالي الوزير بخصوص شركة الأوائل.. فأخبرهم:

- هذه الشركة خارج نطاق المدينة على بعد ٤٠ كيلو من هنا، ويستحيل الوصول إليها قبل التاسعة. أطلعوني على خطاب التكليف؟..

- المهمة سرية؛ تكليف مباشر من مكتب معالي الوزير، عادل خليل؛ فغضب عليهم جميعًا:

- نعم؟!.. وكيف أشارككم مهمة لا أطَّلِعُ ما فيها؛ نحن هنا إذًا طراطيرٌ؟؟ تفضلوا وحدكم في مهمتكم السرية؛ فلا أعرفكم؛ فما يدريني أنَّكم من الوزارة أصلًا ؟.. وَقَبلَ التحدي:

- نعم؛ قضي الأمر.. وغَضِبَ في نفسه؛ لسنا عاملين في عزب معالي الوزير؟..وكاد أن يعودوا خائبين؛ لولا تدخل أحد الزميلين المراقبين للسجال بينه وبين عادل خليل:

- نتعهد يا شيخ مجاهد أن نطلعك على التكليف عند وصولنا إلى مقر الشركة.. فسأل:

- والضمان؟

- ألا توقع معنا على تقرير الزيارة إلا أن نطلعك.. وأكدوا أنه تفتيشٌ دوريٌ؛ فارتاب:

- تفتيش دوريّ تأتون له ليلًا؟! الشركات هنا لا ترتكب جرائم، وأنا أعلم جيدًا بما لديهم.. وتابع:

- الساعة الآن السابعة والنصف، والشركة تغلق أبوابها في التاسعة، وحتى نصل إلى هناك نحتاج ساعتين، وسنجدها مغلقة، فلا معنى لذهابنا ليلًا؟.. باتوا؛ وفي الصباح نعرض الأمر على مدير المديرية؟ فواصل الزميلان رجاءهما:

- لن نخسر شيئًا؛ إن وجدناها مغلقة بتنا، المبيت خارج المنزل مشقة يا شيخ ؟؟.. فسار معهم على شرطه. ثمَّ كان ما قَدَّر؛ وجدوا الشركةَ مُغلقة فوقفوا جميعًا حائرين:

- يا شيخ؟ نعرف شخصك القوي على الشركات هنا؛ اتصل بالشركة تفتح لنا ؟٠٠ ولم يُرَ للشركة مخالفة تستدعى هذا السعي الحثيث ليلًا؛ والعودة بعد منتصف الليل؛ أصل الحكاية؛ أن الوزارة - كعادتها - تفرض على شركات إلحاق العمالة نسبة من فرص العمل التي تجلبها تلك الشركات من سعوديين بالرِشا ليخصوها دون سواها بفرص العمل الموسمية " خدمات الحجاج " فتقوم تلك الشركات بتحصيل المبلغ من العمالة المصرية الموسمية المسافرة لأداء فريضة الحج لنفسها؛ ولن أبدًا تعمل في خدمة أي حاج. وترتفع أسعار تلك الفرص كل سنة؛ وكانت النسبة المفروضة بعد ٢٥ يناير ٢٠ ٠/٠ ليبرهن الوزير للرئيس على فاعليته في حل مشكلة البطالة؛ تذهب تلك الفرص لأعضاء مجلسي الشعب وأعضاء الشورى؛ لكل منهم جزء مقسوم؛ يتاجر به في دائرته لإعادة انتخابه لدورة جديدة، وجزء يذهب لمكتب شئون معالي الوزير؛ كله مجانًا؛ فتضطر تلك الشركات تعويض خسارتها برفع السعر على الضعفاء الذاهبين للحج، تحت مسمى خدمات حجاج؛ لعشق المصريون هذه الفريضة؛ يدفعهم نوء قدراتهم المالية بتكلفة حج القرعة، أو خروجهم منها بسبب الأعداد الكبيرة المتقدمة؛ وبدلًا من الثمانية آلاف المقررة تسعيرة عام ٢٠١٠؛ بيعت الفرصة عام " ٢٠١١ " باثنتي عشرة ألف، وبثلاثة عشر، ولأن هذه الشركة أرجعت للوزارة أحد الجوازات دون تأشيرة، أقبل هؤلاء النفر الثلاثة إرهابًا بتكليف من معالي الوزير"د.البُرعي" ..

خـلا بمجاهـد نجيًـا أحـد النفـر الثلاثـة؛ يطلعـه علـى الحقيقـة؛ تَثْمينًـا لشـجاعته؛ قبـل ركـوبهم السَّـيارة فـي طريـق عـودتهم٠٠ وفـي ٢٠١١/١٠/٢٥ كتبت الوزارة للمديرية ماألف،:

السيد / مدير مديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية

تحية طيبة؛ وبعد

قامـت الإدارة العامـة لشـئون المـديريات والإدارة العامـة للتفتـيش؛ بالاشـتراك مـع إدارة الاسـتخدام الخـارجي لـديكم، ببحـث شـكوى المـواطن / عاطف عبد الله علي؛ والمقيدة بمكتب معالي الوزير تحت رقم ٥٤٨١ في ١١/ ١٠ / ٢٠١١ ضد شركة.. لإلحاق العمالة.. وقد أسفر البحث عن تقديم مذكرة لمعالي الوزير الدكتور البرعي؛ والمرسل لسيادتكم صورة منها، وقد أشر معاليه بالموافقة على اتخاذ الإجراءات القانونية. برجاء تنفيذ تأشيرة معاليه والإفادة.

فقص مجاهد على السيد " أوباما " الباشا الكبير؛ أصل الحكاية؛ فكتب سيادته بمعرفته شخصيًا هذا الخطاب الموجز المعجز.

الأستاذة الفاضلة/ وكيل أول الوزارة، رئيس قطاع ديوان عام الوزارة.

تحية تقدير واحترام؛ وبعـــــــد..

إيماءً إلى كتاب سيادتكم رقم.. في تاريخ.. والمتضمن موافقة معالي الأستاذ الدكتور الوزير على اتخاذ الإجراءات القانونية ضد شركة..لإلحاق العمالة..وذلك لمخالفتها لأحكام تنظيم تشغيل المصريين بالخارج، والقرار الوزاري رقم ١٣٥لسنة ٢٠٠٣ الصادر في هذا الشأن.

نتشرف بعرض الآتي: أنه قد تم تحرير محضر رقم كذا..بتاريخ كذا..للشركة المذكورة لمخالفتها للقانون.. مرسل للتفضل بالعلم.

فابتسم مجاهد دَهِشًا:

- سيادتك هذا رد مجمل، لن يحصلوا منه على شيءٍ؟! كأنما نغرقهم في اللافهم؟!.. فأكد سيادته في ثقة:

- قصدت ذلك؛ ألا تعلم أني أقدم من شغل هذا المنصب الرفيع في هذه الوزارة وأعلم الخفايا؟!

فلم يستطع مجاهد؛ إلا أن يُعْجبَ بشجاعة أوباما " في الرد بالتضليل " رغم ملاحظاته على شخصه!!..وكان قد تضمن كتابهم له هذه المخالفات كافة:

١- مخالفة الشركة لأحكام المادة ١٤ من القرار الوزاري رقم ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ حيث تبين عدم قيام الشركة بقيد العمال الراغبين في السفر، وكذلك عدم قيد الطلبات الواردة من الخارج بسجل قيد الطلبيات.

٢- مخالفة الشركة لأحكام المادة ١٠ من القرار الوزاري السابق حيث تبين كذا..

٣ - مخالفة الشركة المادة ١١ من القرار الوزاري السابق حيث تبين قيام الشركة بمزاولة النشاط في غير المقر المبين بالترخيص.

ولا يُدري مجاهد كيف؛ والموجودات المنصوص عليها كانت بالمقر الحاصل على الترخيص؟ إلا أن يكون قصدهم ذهاب المدير المسئول للوزارة، وتسلمه جوازات النسبة من تحت الترابيزة؛ فاعتُبر ذلك مخالفًا للقانون!.

٥- مخالفة الشركة المادة ١٦ من القرار الوزاري..حيث قامت بتحصيل مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري من الشاكي..

وبسؤاله للمدير المسئول للشركة أفاد شفافية: والله ما حصلته الشركة فقط ١٢٠ جنيهٍ؛ عن كل حالة تخص الوزرة؛ ٢ ٠/٠مصاريف إدارية؛ نت وطابع التأشيرة؛ طبقًا للقانون؛ لكنهم يبغونها متشفية؟! لحجٍ مفروض أن نفقته من مال الحاج الخالص؟!

- وبالنسبة لموضوع الشاكي؛ والله يا شيخ مجاهد، قدمت الأوراق الخاصة بالمواطن المذكور إلى القنصلية، ورفضته لعدم وجود صفحة فارغة في الجواز لوضع الفيزا بها؛ تأشيرة الدخول/ عمالة موسمية/ خدمات حجاج لدولة السعودية، وبرهن لصدقه:

- هذه سيادتك؛ صورة من جواز سفر المواطن؛ تُبين عدم وجود صفحة واحدة خالية لِدقّ التأشيرة؛ لكثرة ما نال نفس المواطن؛ على هذا الجواز؛ نفس التأشيرة !!.

* * *